مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584

المجلد الثامن ،العدد الثاني، فيفري، 2023 ص- ص:296-313

المنهج التاريخي عند هشام جعيط، دراسة في الأسس والمكونات

The historical approach of Hisham Djait, a study of the foundations an components

خميلي العكروت (*)

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، (الجزائر)، lakroutkhimili16@gmail.com

تاريخ الاستلام: 19 /2021/06 تاريخ القبول: 02 /2022/07 تاريخ النشر: 20 /2023/03

الملخص

يهدف هذا المقال إلى تحديد أهم أسس ومكونات المنهج التاريخي عند المؤرخ والمفكر التونسي هشام جعيط، الذي أثارت كتاباته الكثير من الجدل بين المؤرخين والمفكرين والباحثين، خاصة وأنها حملت محاولات لفهم العلاقات بين المتناقضات والأضداد مثل الحداثة والدين، والتقدم والتخلف، والشرق والغرب، كما أنه حاول التأسيس لفكر تاريخي جديد، يتمثل في تطبيق المناهج العلمية الحديثة لإعادة قراءة مرحلة فجر وصدر الإسلام والخلافتين الأموية والعباسية.

ولفهم هذه القراءة الجديدة التي واجهت الكثير من النقد والاتهام، وجب الوقوف عند أهم مكونات منهجه وأُسسها التي صاغت إلى حد بعيد كتاباته وقراءاته لتاريخ الإسلام، والتي ارتكز فيها على الأساس والمكون الديني، بمعني مدى تأثير الدين في شخصيته وعلاقته بالاستشراق باعتباره قد أشاد ببعض المستشرقين مثل جاك بارك، وكذلك المكون العلمي والمكون القومي والايديولوجي علي اختلاف مستويات تأثيرها في كتاباته

الكلمات الدالة: هشام جعيط؛ المنهج التاريخي؛ الشرق؛ الغرب؛ الإسلام.

Abstrac:

This article aims to identify the most important foundations and components of the historical method for the Tunisian historian and thinker Hichem Djaït. whose writings have aroused many controversies among historians, thinkers and researchers, Especially since he carried attempts to understand the relations between contradictions and opposites, such as modernity and religion, development and sub-He also tried to establish a new historical thought, represented in the application of modern scientific methods to re-read the era of dawn and the early days of Islam and the Umayyad and Abbasid caliphates.

* المؤلف المرسل

And to understand this new reading, which has faced many criticisms and accusations, it is necessary to consider the most important elements of its program and its foundations which have largely shaped its writings and readings of the history of Islam. that is, the extent of the influence of religion on his personality and his relationship with Orientalism, as he praised some Orientalists such as Jacques Berque, as well as the scientific component and the national and ideological component at different levels of influence in his writings.

Keywords: Hichem Djaït; historical methodology; the East; the West; Orientalism; Islam.

1.مقدمة:

فقدت الساحة الفكرية والثقافية والفلسفية التونسية خاصة والعربية عامة مطلع جوان 2021 المؤرخ والمفكر التونسي هشام جعيط, وقد ترك الرجل إرثا فكريا غزيرا ومراجع عديدة تحمل نظرته التجديدية للتاريخ الإسلامي، وللشخصية العربية والثقافية الإسلامية، وحاول التطرق للمشكلات الكبرى والإشكاليات الصماء العالقة في التاريخ الإسلامي والتي تحول بينه وبين الحداثة، لذلك حاول إعادة النظر في المحطاتالرئيسية الفارقة أو الأحداث العظيمة في التاريخ الإسلامي منذ بداية الدولة الإسلامية، بدءا بالسيرة النبوية إلى الخلافات السياسية في عهد الخلافة الراشدة أو فترة الأمويين والعباسيين.

يعود توجه هشام جعيط إلى دراسة الموروث الثقافي الإسلامي بأدوات جديدة، إلى حكمه المسبق ويقينه الخالص بحالة التخلف التي يعيشها بلده تونس ومن ثم البلاد العربية الإسلامية في الفترة المابعد الكلونيالية التي أحالته بدورها إلى إعادة قراءة هذا الموروث. وكذلك مناقشة المكونات الأساسية للشخصية العربية الإسلامية، فدرس الموروث القومي الإيديولوجي ومكانة الديني الذي اعتبره المؤثر الأساسي في حياة الإنسان العربي، وقد درس ما خلفه المؤرخون المسلمون والمستشرقون الغربيون عن التاريخ الإسلامي، وحاول إيجاد طريقا ثالثا مميزا جلب له

الكثير من التميز والنقد، و سخط الفقهاء ففيما تمثلت مكونات وأسس المنهج التاريخي لهشام جعيط في كتاباته التاريخية خاصة التاريخ الإسلامي، فترة صدر الإسلام وتاريخ الغرب الإسلامي؟

اعتمدنا في هذا المقال على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، فخاصية الوصف اعتمدناه في بناء الوقائع التاريخية، والتحليل اعتمدناه في تحليل الأفكار المرتبطة بتلك الوقائع، واعتمدنا على النقد والمقارنة في كثير من المواقف التي تطلبت ذلك، خاصة وأننا نستنبط منهج هشام جعيط من خلال قرائتنا لمؤلفاته التي شكلت أهم مصادر دراستنا.

ويهدف هذا المقال إلى تبيين رؤية المؤرخ والمفكر هشام جعيط للتاريخ من خلال منهجه المستحدث ومن ثم مدى اصطدامه بمدارس التراث الكلاسيكية والفقهية.

2.هشام جعيط والكتابة التاريخية

2.1.التعريف بهشام جعيط:

ولد هشام جعيط في السادس من ديسمبر 1935 من عائلة مثقفة تتكون من قضاة، وعلماء وحتى سياسيين، فهو حفيد الوزير الأكبر يوسف جعيط ابن أخ العالم مُحَمَّد عبد العزيز جعيط وأبوه شيخ من شيوخ الزيتونة.

بدأ هشام جعيط مسيرته الدراسية في المدرسة الصادقية في تونس العاصمة، وواصل تعليمة العالي في فرنسا حيث تحصل على الدكتورة في التاريخ الإسلامي من جامعة السوريون 1981، ساهمت بدايته في المدرسة العربية باجادته للغة العربية وإتمامه للدراسة في فرنسا والجامعة الفرانكفونية بإتقانه للفرنسية ومكن ذلك من نشر العديد من الأعمال باللغتين[1] .

ترعرع هشام جعيط في فترة حساسة من تاريخ تونس، فقد عايش السلطة الاستعمارية في بلاده، وعاش زهرة شبابه وفتوته في فرنسا، ثم عاد إلى تونس بعد الاستقلال، وهي الفترة ما بعد الكولونيالية التي قادها الحبيب بورقيبة بمشروع على النمط الأوروبي الغربي، وعليه أمكنه بساطة الحكم على مجتمعة الأهلي بالتخلف، فقاده ذلك إلى حالة من الإصرار على دراسة الأسباب الحقيقة لهذا التخلف والتي أجزم أنها حضارية تقتضي إعادة قراءة للتراث قراءة واقعية بمناهج وأدوات غربية، فقد اتفق الكتاب الباحثون على جدية كتب ومؤلفات هشام جعيط ولكنهم اختلفوا على موقعة ومكانة كتاباته بين الأصالة، ونقصد بها مرجعية الإسلام كإطار عقائدي له[2]، في حين يرى آخرون أنه في عقل هشام جعيط يسكن مشرقون يوحون إليه بما يريدون[3].

كان جعيط هشام واضح في موقفه من السياسة، فكان يضع حدودا بين المفكر والسياسي، وكان يرى تباينا في دور كل منهما، لذلك فشل بورقيبة في استدراجه لتولي مناصب سياسية.

عمل هشام جعيط أستاذا فخريا لدى جامعة تونس، وعمل كأستاذا زائرا بعدة جامعات عربية وأوروبية وأمريكية،(جامعة بركلي بكاليفورنيا وجامعة ماك غيتي في مونتريال)، كما شغل منصب رئيس المجمع التونسي للعلوم والآداب، وكذلك collège de France بفرنسا، وبيت الحكمة بين عامي 2015/2012

تلقى هشام جعيط وسام الصنف الأول من أوسمة الجمهورية وحاز جوائز عدة من الإمارات ولبنان وتونس، ومن أهم مؤلفاته نجد:

- الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي، دار الطليعة- بيروت- 1984
- الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية، دار الطليعة، بيروت 1986

- الفتنة، جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، دار الطليعة، بيروت 1992
- أزمة الثقافة الإسلامية، دار الطليعة، بيروت 2000
- تأسيس الغرب الإسلامي، دار الطلبعة، بيروت 2004
- أوروبا والإسلام، صدام الثقافة والحداثة، دار الطليعة، بيروت 2007
- في السيرة النبوية، الوحي والقرآن والنبوة، دار الطليعة، بيروت 1999
- تاريخية الدعوة المحمدية، دار الطليعة، بيروت 2006
- سيرة مُحَمَّد في المدينة وإنتشار الإسلام،دار الطليعة، بيروت 2014

2.2. موقف هشام جعيط من الكتابة التاريخية:

تعد المعرفة التاريخية من المعارف الإنسانية المميزة في ساحة المعارف، فهي بحق قادرة على تحرير الإنسان من وهم القيد والتصورات الذاتية عن الماضي، خاصة إذا امتازت بالمنهج العلمي والموضوعية.

والمؤرخ التونسي هشام جعيط من أسماء عربية قليلة برعت في حفل التاريخ بتقديمها لمادة تاريخية عُولجت وفق المناهج العلمية، وامتازت بالعقلانية والواقعية، والتي استعانت في مختلف الحقب التاريخية بفزوع العلوم الإنسانية.

وفي حديثه عن تجربة المؤرخ العربي اعتبر هشام جعيط أنه رغم بروز مفكرين عرب الذين تكونوا وفق المناهج العلمية الأوروبية الحديثة فهناك ضعف كبير في كتابة التاريخ في العالم العربي [4] ويعتبر أيضا هشام جعيط أن خبرة تونس واعدة في مجال كتابة التاريخ الإسلامي، وتعتبر المدرسة التونسية رائدة في ذلك.

أطلقت مديرة دار الكتب الوطنية التونسية رجاء بن سلامة وصف "المفكر القلق" على هشام جعيط الذي ينفر من الاختصاص الضيق والذي يبدي موقفة من الراهن من منطلق البحث في التاريخ[5]

ويرى هشام جعيط على الكتابة التاريخية في العالم بشكل عام تمر بمأزق وأزمة عالمية من أهم أسبابها أن الغرب قد اعتبر نفسه بأنه قد أتم النظر في التاريخ الإنساني من تاريخ اليونان إلى القرن العشرين، أما في العالم العربي فإن الأمر أسوء، لوجود تساهل وضعف في كتابة التاريخ وينتظر المؤرخين العرب والمسلمين دورا كبيرا لإزالة الطابع الفلسفي على الكتابة التاريخية العربية والعودة إلى دراسة التاريخ بمعناها الحقيقي.

ينتقد طريقة تعاطي المثقفين والمفكرين العرب مع التاريخ من خلال نظرتهم لماضيهم حاضرهم ومستقبلهم، على أنه الايدولوجيا العربية على حد التعبير عبد الله العروبي حيث يافق معه في هذه النظرة[6]

وقد ظلت نظرة المقدس مسيطرة على كل انتاجات الفلسفة العربية والفكر العربي كون المثقف العربي لا يؤمن بعليمة ومعقولية المعرفة التاريخية.

ويرى جعيط أن التاريخ علم كل شيء، هو متاح للمهتمين به، المتمكنين من أدواته القائمة أساسا على التعامل مع الوقائع والمعطيات بشكل موضوعي دون تدخل العامل الذاتي، ويرى أن التاريخ علم تقترب دقته من دقة الرياضيات إذا التزم بمنهجه خاصة، وهو علم تكون مع ظهور الحضارات وينكر فكرة رياضة الكتابة التاريخية للمسلمين وخاصة ابن خلدون الذي وضع قواعد ومنهج للكتابة التاريخية وإن لم يلتزم به، عكسه هو حيث التزم بالمناهج الغربية بصارمة، كما اعتبر أن التاريخ العلمي المنهجي ظهر في أوروبا(فرنسا وألمانيا) في القرن التاسع عشر مستندا بالمؤرخ الانجليزي ادوارد غيون، الذي قام بعمل تاريخي جبار[7]

3. مكونات وأسس المنهج التاريخي عند هشام جعيط

1.3. الأساس الديني في المنهج التاريخي عند هشام جعيط:

نشأ هشام جعيط في بيئة دينية باعتبار انتماء أسرته إلى الطبقة المثقفة، وكون والده واحدا من مشايخ جامعة الزيتونة، التي ألغى بورقيبة العمل بها كونها، باعتبارها واحدة من أهم العقبات في وجه إيديولوجيته في التقدم والحداثة، والتي كانت تبدو وكأنها على حساب الإسلام وواجها لاحقا التيار الديني[8]، بينما استمر بورقيبة في مساره العلماني الدستوري الذي طبع بشكل كبير جوانب الحياة التونسية في مرحلة ما بعد الكولونيالية التي عاشت فيها تونس تجربة لائكية[9]

ساهم هذا الوضع في تونس إضافة إلى تجربة هشام جعيط في جامعة السوربون في تكوين موقفة من الدين ومستوى تأثيره في كتاباته التاريخية، فأصبح من أنصار الحداثة الغربية والتوجه العلماني الصريح[10].

لاحظ هشام جعيط سيطرة مظاهر الدين السطحية على الثقافة الإسلامية، لذلك كانت مسألة مراجعة المسألة الدينية ضرورة تحتل الأولوية لديه لإيجاد مخرج لمأزق الصدام الحاصل بين النص والواقع وبين الحداثة والإسلام، وتجاوز الخلط بين الثقافة العربية والثقافة الإسلامية.

ويعتبر هشام جعيط أكثر المفكرين العرب تأثيرا في هذا الاتجاه، وأساس المشكلة حسبة هو وجود فكر عربي إسلامي بالغ القدم لا يزال يوجه سلوك العرب المعاصرين ويقيمهم[11]

والعلمانية هي الحل-في نظره-، ذلك أنها تخلي للدين مجاله، وتعطي للمجتمع حقه في تسيير ذاته، لأنه حسبه مبادئ الشريعة هي مبادئ تتناقض مع العقل ومع تطور المجتمع وكذلك مع الحداثة[12].

حسم هشام جعيط قضية الهوية لصالح الحداثة باعتبارها مشروعا كونيا قائما على ركائز علمانية متحضرة ومضامين التعدد الثقافي وحقوق الإنسان وفق مبدأ الحرية الذي يتيح النقد الثقافي للتراث المقدس بمنهج تاريخي نقدي متحرر من الالتزام بمضامين الشريعة، وبذلك يختصر الشريعة الإسلامية في الجانب الروحي بعيدة عن العالم الدنيوي وقضاياه [13].

حملت أراء هشام جعيط الهوياتية في مكونها الديني تصورا حداثيا جديدا، يستهدف نظام الحكم بتوجيهه نحو علمنة القوانين الخاصة بالأحوال الشخصية، وبعض مفاهيم الإسلام الاقتصادية وبذلك أسس لمنهج نقدي في دراسة مفاهيم الإسلام وتراثه، ومثل منهجه تطابقا فكريا لخطاب العلمانية التقدمية الذي يعتبر العلمنة ضرورة حضارية، لكنة دعى أساسا إلى مراجعة الإنسان والدولة والدين كل في موقعة، فوجه دراساته النقدية والتاريخية لتعني بهذه العناصر املآ في ظهور إنسان عربي جديد، وحاول تحطيم عالم الأفكار التوراثية للمقدس وذلك من خلال إخضاعها للمنهج التاريخي النقدي العلمي خلال دراسته لمفاهيم الإسلام وتراثه[14].

وضع هشام جعيط حدودا في مشروعة الفكري للعلاقة بين السياسي ورجل الدين، وذلك بالرجوع إلى المؤرخ الذي يحدد دور السياسي ودور الدين، وكيفية التعامل بينهما، فهيمنة على المجال العام للدولة والمجتمع تعتبر عائقا يشل الحياة الحرة للأفراد، فعلمانيته غير معادية تماما للإسلام، ولكنها لا تستمد أي دافع منه، فعلاقة المسلم بالدين هي التي ولدّت الإحساس بالتعالي أو بالنقص أو التعصب وأنتجت الأزمات الثقافية للحضارة الإسلامية، وولدت الخلفية التاريخية حول الإسلام باعتباره دين تخلف[15].

يتهم هشام بعض الفقهاء وعلماء الدين المسلمين يتوجيه الخطاب الديني نحو معاداة الحداثة، من خلال تأويلات النصوص الدينية خدمة لغاياتهم وتبريرا لأرائهم، وينتقد –أيضا–

جهود البعض الآخر التي تقدم الفكر الإسلامي بأنه قادر على التطابق مع الحداثة، وهي الجهود التي تتلمس حيلا فقهية ظرفية للتخلص من مواجهة الحداثة بما هي تجربة حديثة للعمل العملي[16]

حاول هشام على ضوء المناهج العلمية الحديثة للتاريخ النقدي فتح ورشات للتجديد تتعلق بعمق المسالة الدينية وعمق تأثيرها على التاريخ الإسلامي والعربي، هذه الورشات إذا بلغت غايتها فإنها تؤدي إلى تصحيح مسار التاريخ نحو التقدم بدل الهاوية وإعادة هيكلة الإنسان العربي وبالتالي المجتمع والدولة.

2.3. مكوّن التأثيرات الإستشراقية في منهج هشام جعيط التاريخي:

قاد تخصص هشام جعيط في مجال الدراسات التاريخية الإسلامية إلى اللقاء الأكيد بينه الاستشراق والمستشرقين، ذلك كونهم قد احتكروا التاريخ الإسلامي لفترة طويلة، خاصة الفترة الأولى التي قرر هشام جعيط أن تكون مجالا لدراساته[17].

يرى الكثير من الدارسين لهشام جعيط أن بداخله روح مشرقة تملي علية ما يكتب في التاريخ الإسلامي فإلى أي مدى يصح هذا القول من خلال معرفه علاقة هشام جعيط بالاستشراق!؟

ظهرت بعض مظاهر اهتمام هشام جعيط بالاستشراق مبكرا في كتاباته، في كتابه" الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية" خصص بابا للاستشراق سماه" الاستشراق والمدينة الإسلامية" وقد حاول فهم الاستشراق كظاهرة سيكولوجية في كتابة أوروبا والإسلام، خصص خلاله فصلا سماه"سيكولوجية الاستشراق"[18].

يمكن أن نلاحظ عدم اختلاف مفهوم الاستشراق عند هشام جعيط عن بقية المفكرين العرب والمسلمين، فهو في نظره حركة فكرية ظهرت في أوروبا يرتكز في بدايته على الخلفية المسيحية وعلى النزعة الأوروبية، بمرور الزمن على العلمانية الأوروبية وذلك بهدف توجيه العداء للإسلام والمسلمين ولا أدل على ذلك قوله:"أن أوروبا التي يرجع إليها الاستشراق هي أوروبا المسيحية القروسطية" [19] .

وفي ما يخص تطور الاستشراق إلى الرؤية العلمانية، فإنه لم يغير شيئا من الغرض العام للاستشراق، وهو النيل من الإسلام، حيث يقول" استخدم الاستشراق والمسيحية والعلمانية المعاصرة كلا بدورها، لاتهام الإسلام اعتباطا أما بنقص في الروحانية وإما بالجمود الثيوقراطي، أما النزعة الأوروبية فقط تجلت في النرجسة الأوروبية التي كانت واضحة في المقارنات غير العادلة بين الغرب والشرق الإسلامي [20] .

كما ورد على لسانه أيضا:" أن يقوم العالم الغربي الصادق والمؤرخ الكلاسيكي بقوة ضد بعض التأكيدات الجازمة النابغة من مانوية ساذجة، تقارن بين غرب ديناميكي وشرق ملعون"[(21)]

وقد انتقد هشام جعيط الاستشراق بكونه غير موضوعي ولا يخدم عالمية موضوعاته وبتشرذم حول الأنا الأوروبي، وبالتالي فهو مضر بالأسس الفكرية للاستشراق [22] .

وعلى الرغم من ذلك يرى هشام جعيط بعض الايجابيات التي استفاد منها فيما يتعلق بالاستشراق، و التي شكلت لدى منتقديه بابا لاتهامه بالتأثر بهم رغم أنه وصف المستشرقين إما عنضريون وإما حاقدين على التاريخ الإسلامي.

ولعل ما جعل البعض يتحاملون على جعيط ويحملونه مسؤولية الانتماء إلى جهة استشراقية معينة، فهو قد استثنى بعض المستشرقين مثل "جاك بارك" من ذلك، ذلك أنه في نظره يختلف عن الفئات السابقة، ويستحق الإعجاب والتقدير والاحترام ، إذ يقول شأنه:" الرجل قد

أنتج الكثير ومجالات اهتماماته قد اتسعت لتشمل أقصى الغرب إلى أقصى المشرق، أنّه عمل رائع ومجد للفكر الإستشراقي" [23].

يمكن تفسير إعجاب جعيط بشخصية جاك بارك ، كون هذا الأخير قد ابتعد عن قدح مقدسات الإسلام واكتفى بالدراسات المعاصرة كانثربولوجي وسوسيولوجي [24].

استفاد هشام جعيط من أعمال المستشرقين، وسبب له ذلك شبهة الاستشراق لكنه حاول التملص منها، بإبداء موقف ثابت اتجاه الاستشراق ، الذي تجلى في ثلاثية السيرة النبوية حيث سارع إلى نفي أي صلة تجمعه بالفكر الاستشراقي، من خلال تأكيده المقدمات على التزامه بمنهج خاص به والذي لا يمكن أن يحاكي النموذج الاستشراقي لا من بعيد أو من قريب ففس كتابه الموسوم بالوحي والقران والنبوة قال:" لقد حاولنا في هذا الكتاب الاعتماد على المعرفة واعتماد منهج عقلاني تفهمي لم نجده لا عند المسلمين القدامى من أهل السير والتاريخ الحديث ولا عند المسلمين المعاصرين وأكثره ما يعزز انتماءه لمدرسة الاستشراق ، أنه يرى أن الاستشراق أخد الطابع العلمي، باعتباره قسم من أقسام المعرفة العلمية خصوصا في مجال اللغات والفيلولوجيا والتاريخ والجغرافيا والأدب والسيرة إضافة إلى ما احتوته كتب المستشرقين على عدد هائل من النصوص القديمة، التي تم جمعها ونشرها وتحقيقها علميا [25].

كان الاستشراق في نظر هشام جعيط منبرا للتنافس على المناصب العليا في الجامعات الأوروبية واحتكار لنفسه كل ما يخص البحث والعلم والمنهجية دون غيرة من الدراسات خصوصا ما كُتب باللغة العربية، وقد استمر هذا الأمر حتى يومنا الحاضر إلا أن الاستشراق كظاهرة آيلة للزوال [26].

لا تختلف نظرة جعيط للمستشرقين عن نظرته للاستشراق ذلك أن الاستشراق حث عمل المستشرقين على تصدير نموذج الغرب الأوروبي، المسيحي كمثل أعلى يحتذى به، ولا فرق في ذلك بين المستشرقين الكلاسيكيين والمستشرقين المعاصرين، وقد انسحب ذلك إلى فقدان المستشرقين لوجهاتهم الفكرية وموقفهم فهم غير قادرين على تحديد جمهوره [27].

وقد لاحظ هشام جعيط أن بعض المستشرقين غير معروفين في بلدانهم الأصلية مثل:(لوس ماسينيون) وصنفهم إلى مستشرقين متعصبين للمسيحية مثل رينان، ومستشرقوا الفترة الاستعمارية الغارقون في النسق الاستعماري فهم رغم سعة إطلاعهم لم يأتوا بحث بذكر في هذا الميدان وتبقى دراساتهم هزيلة [28].

ولكنه من جهة أخرى اثبت على نفسه الاستشراق أو التأثر بالمستشرقين من خلال تحليلاته التي سماها عقلانية فقد دار في فلك المستشرقين من حيث التحليل والترتيب وكذلك من حيث الموضوعات فقد طعن في دور جد النبي" قصي" وفي اسم ابيه عبد الله" وحاول إيجاد مبررات استخدمها المستشرقون أهمها العمليات التجميلية البعيدة التي طالت التاريخ بعد نجاح الدعوة المحمدية حسبه، وبذلك سار جعيط عكس ما كان ينتقده من مواقف المستشرقين بل لم يكن بعيدا عن ما ذهبوا إليه، فلم تصل قراءاته الحداثية ومناهجه المعاصرة إلى جديد غير استهلاك الفكر الاستشراقي أو إعادة إنتاجه وقد جلبت له كتاباته في السيرة النبوية، الشبهات التي أثارها سخط وعداء رجال الفقه وعلماء السيرة وحتى اغلب عامة المسلمين وذلك نتيجة لاعتماده المطلق على الروايات والأحاديث التي يعتمدها المستشرقون وتجاهل التراث الإسلامي برمته وهو من أنصار تجديدية [29].

3.3.الأساس القومي الإيديولوجي:

يعد المفكر التونسي هشام جعيط لمن عمد على أكثر من جهة، فقد تعدى على الثقافة الغربية و نجد من أعماله الفكرية والفلسفية والتاريخية ما كتب بالفرنسية مثل كتابة la personnalité et le devenir arabo-islamique وكذلك كتاباته العربية التي دافع فيها عن الحداثة والتنوير، ودافع خلالها أيضا عن التراث العربي الإسلامي بكونه مجال البحث الأصيل لديه.

وقد عمل هشام جعيط أيضا على محاولة تقويم المشروع القومي العربي بشكل يجعله واقعيا لذلك استغل بشكل جدي متواصل على مؤلفات ميشال غفلق، ويرى أن هذا الرجل ولد ايديولجيا لأنه استطاع أن قرأ واقع المجتمع العربي ولذلك فكر في مذهب متماسك ومنظم لأجل بعث المجتمع العربي بشكل يضمن الوعي والوجود، لذلك انزعج غفلق من اللغة الاشتراكية التي أخذتة وقتا وافرا من جهود الحكومات البعثية بوصفها ليست الغاية التي يحلم بها، ولا تمثل لحظة الوحدة والحرية والاشتراكية لذلك ظل ميشال غفلق غريبا في كل تلك الأنظمة [30].

حاول هشام جعيط في كتابه الشخصية العربية والإسلامية والمصير العربي موافقة غفلق على مستوى الشخصية العربية الإسلامية والمسيرة العربية وذلك بطرحها لإعادة الشكل والبناء أو فتحها ضمن المشاريع الكبيرة التي فتحها هشام جعيط من أجل تحديد العناصر الثلاث: المجتمع الدولة والفرد العربي وصولا لهدف غفلق أو لنفس الهدف وهو الوحدة تتجاوز كل أشكال الانقسامات [31].

تلك المعاني التي شكلت نقاط التوافق في معنى الذات والمصير والهوية في اهتمامات هشام جعيط حول فكر ميشال غفلق تم الاتفاق على إصابتها بالوهن والترهل، هذا إضافة إلى أن

البحث عن الحداثة يجب أن يبدأ من النقطة التي انتهت إليها الأفكار العربية، فقد تركز فكر غفلق على وحدة الشخصية وقوة الإرادة وصلابة القيم والأخلاق، وامتلاك الوعي المحصن بالعلمية والمنهجية وصولا إلى مستقبل منشود .

عمل هشام جعيط على تحليل الظواهر السلبية لمرحلة ما بعد الكولونيالية دون أن يعلن انتمائه الاشتراكي أو الليبرالي أو القومي كونها غير مهمة أمام المهمة الكبرى التي تحتاج إلى الواقعية وإلى مناهج علمية وإلى الاستفادة من التراث و إلى مفاهيم واضحة للشخصية والمستقبل، ذلك ما حلله في كتابة الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي.

4.3. الأساس العلمي توظيف الانثربولوجيا في المنهج التاريخي عند هشام جعيط):

يرى هشام جعيط بعكس الكثير من المثقفين المسلمين أن الدين ينتمي إلى مجال الثقافة بالمعنى الأعم كونه يأتي بالأفكار والمعتقدات وهو منغرس جيدا في الوسط الذي نبع منه ولفهم المرحلة التي اهتم بها هشام جعيط كان من الضروري لدية استنطاق ما هو قديم دين الوثنية وقيم الوشة وما هو جديد الإسلام وقيم الإسلام [32] .

ولقد أصر هشام جعيط على السلامة المنهجية في كتاباته خاصة تلك المتعلقة بالفترة الأولى من التاريخ الإسلامي" فجر الإسلام"، وأقر باعتماده على الكثير من العلوم المساعدة للتاريخ مثل الاركيولوجيا والتاريخ المقارن للأديان والانثبولوجيا والفلسفة، كأدوات للبحث والاستكشاف [33] .

واعتبر هشام بعيد على المنهج الانتربولوجي المسقط على الماضي أي التاريخ هو الأقدر بين المناهج على إضاءة الإسلام النبوي الأول، فالنبي مُحَّد هو إفراز لوسطه وهو رجل التغيير الجذري الرافظ لحاضره ولا مناص من أجل الفهم من استثمار الانتربولوجيا، فهي الكفيلة بأن توضح لنا هذا مُحَّد بالذات؟ ولماذا في هذا الزمن وهذا الوسط [34] .

ولا تقف مهمة الانتربولوجيا عند هشام جعيط عندما أحيط بظهور النبي مُحَّد من ثقافة بل تتعدى ذلك لدراسة شخصيته ونفسيته وطريقته في العيش والمعاملة، لذلك يستبعد المنهج الفينومنولوجي التفهمي، كونه منهجا عقيما لا يأتي لنتائج في مثل هذه الظروف نظرا للطبيعة الخاصة لمؤسسي الأديان.

ولعل اعتماد جعيط على التحليل الانثروبولوجي في كتابة السيرة النبوية هو الذي اوقعة في محاولة معالجة قضايا التشكيك في اسم النبي واسم والده، وفضائل أجداده خاصة قصي، فوقع بذلك في المحظور وجلب لنفسه الكثير من العقد رغم أنه أصر على الالتزام الصارم بالمناهج العلمية والاعتماد على الكثير من العلوم أهمها الانتربولوجيا.

4.خاتمة

نخلص في نهاية هذا المقال إلى أن هشام جعيط قد نظر لحالة التخلف في تونس خاصة وفي العالم العربي والإسلامي عامة، وأيقن أن أسبابها حضارية مما قاده لدراسة الموروث الثقافي الإسلامي ومناقشة العناصر الأساسية للشخصية العربية الإسلامية، فاتجه إلى قراءة التراث الإسلامي قراءة علمية وعقلانية جديدة، وقد تأثر بما كتبه المستشرقون، دون أن يعترف بذلك،

وقد حاول إبعاد شبهة التأثير بالمستشرقين من خلال النقد اللاذع لظاهرة الاستشراق والمستشرقين كما حملت منهجية بعض المؤشرات الهوياتية الدينية والقومية.

ورغم إلحاحه على اعتماده الصارم على المنهج التاريخي النقدي الواقعي في كل دراساته واعتماده الصارم على العلوم المساعدة للتاريخ إلا أن كتاباته لم تسلم من النقد والتهم، شأنها شأن الكثير من الكتابات الحداثية التي اصطدمت بثقل الموروث التاريخي الشرقي وشوائبه العالقة المنسوبة تارة للدين وتارة أخرى للثقافة.

5. قائمة المراجع

[1]– يوسف خليل، هشام جعيط مفكر في حنايا التاريخ، مجلة المدونة، تنمية الكترونية، جوان 2021.

[2]– مُحَمَّد المازوني، نقد التاريخ المقدّس عند هشام جعيط، مجلة الكلمة، عدد 170، يونيو حزيران، 2021.

[3]– زبير خلق، في فكر هشام جعيط ومنهجه، مجلة البيان، عدد 15 مارس آذار، 2018.

[4]– يوسف خليل، المرجع السابق.

[5]– هشام جعيط، محاضرة مسجلة " حفل التكريم الذي نظمته مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، وعينة لدراسات الفكرية والاجتماعية، دار الكتب، 2019/12/20، تونس.

[6]– الكلمة الافتتاحية لتكريم هشام جعيط يوم 2019/12/20.

[7]– انظر: مُحَمَّد عابد الجابري، في نقد العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، 2000)، ص 123

[8]– هشام جعيط، المحاضرة السابقة.

[9]– خديجة سالم ، الشريعة في ضوء النقد الثقافي المعاصر، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 07، العدد 02 2019، ص–ص 40–60

[10]– مُحَمَّد كامل ظاهر، الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث والمعاصر، دار البيروني، (بيروت، 1994) ص 294.

[11]– خديجة سالم ، المرجع السابق،ص42.

[12]– هشام جعيط، الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي، دار الطليعة، (بيروت: 1984)، ص112.

[13]– عبد الرحمان اليعقوبي، الحداثة في التأليف الفلسفي العربي المعاصر، مركز نماء للبحوث والدراسات، (القاهرة: 1970) ص129.

[14]– مُحَّد كامل ظاهر: المرجع السابق، ص 258.

[15]– نفسه، ص258.

[16]– فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العصر الحديث، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، (القاهرة: 1982)، ص348.

[17]– أبو الحسن رشيد البلدي: الشريعة الإسلامية وفقه التطبيق، دار (القاهرة: 2015)، ص82-88.

[18]– ميلود حميدات، خديجة بن سالم: التأثيرات الاستشراقية في قراءة هشام جعيط، للسيرة النبوية ، مجلة العلوم الاجتماعية ن المجلد 14ن العدد 02، سبتمبر 2020، ص218.

[19]– هشام جعيط، الكوفة شاة المدينة العربية الإسلامية، دار الطليعة (بيروت: 1986).

[20]– انظر هشام جعيط، أوروبا والإسلام، صدام الثقافة والحداثة، ط3، دار الطليعة، (بيروت: 2007)، ص41.

[21]– هشام جعيط، المرجع السابق، ص 42.

[22]– نفسه،ص41.

[23]– لطفي بن ميلاد: الاستشراق في فكر هشام جعيط، الندوة الدولية حول الإستشراق، 8-12 ديسمبر، تونس، ص113.

[24]– مُحَّد المازوني: الاستشراق والمشرقون في فكر هشام جعيط، ط1، منشورات الجميل، (بيروت:2012)، ص73.

[25]– المازوني، المرجع السابق،ص 73.

[26]– هشام جعيط، المرجع السابق،ص 41.

[27]– لطفي بن ميلاد، الاستشراق في فكر هشام جعيط، المرجع السابق،ص 221.

[28]– جعيط، المرجع السابق، ص 40.

[29]– هشام جعيط، الوحي والقرآن والنبوة، ج1،ط1، دار الطليعة (بيروت: 1999)، ص 10-14.

[30]– مُحَمَّد بن يوسف العالي: سبل الهدى والرشاد في سير خير العباد، ج1، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (القاهرة)، ص 306.

[31]– ميشال عفلق: في سبيل البعث، الكتابات السياسية الكاملة، ج1، (د ط)، ص35.

[32]– هشام جعيط: الشخصية العربية والمصير العربي، دار الطليعة، (بيروت: 1986)، ص65.

[33]– هشام جعيط: في السيرة النبوية، تاريخية الدعوة المحمدية في مكة، ط1، دار الطليعة، (بيروت:2007)، ص244

[34]– جعيط، المرجع السابق، ص244